القسم الأول

فكرة الإبادة الجماعية

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثاني

رافائيل لِمكن وفكرة الإبادة الجماعية

يمكن لقلة من الأفكار الرئيسة فقط أن تُنسَب إلى شخص واحد بصورة لا لُبس فيها، بيد أن رجلًا واحدًا هو رافائيل لِمكن طوّر المصطلحات والأسس لفهم الإبادة الجماعية بمصطلحها الذي نستخدمه اليوم، ومما يثير الاحترام أكثر نجاحه بقيام الأمم المتحدة في وثيقة دولية وقعت عليها معظم الدول بتعريف لجريمة الجرائم عنده، وحتى وقتنا هذا «لم يُعرف عن حياة لِمكن وأفكاره الأخرى إلا القليل نسبيًّا»[1].

معظم المحاولات التي جاءت بعده حاولت أن تُحاكي إنجازاته، لكن فكره وفهمه بقيا مميزين مقارنة مع الصيغ اللاحقة، كان محاميًا وقائد حملات، لذلك عكست أفكاره توجهه القانوني، والسياقات السياسية التي عمل فيها، وبعد مرور نصف قرن على وفاة لِمكن وقعت عمليات إبادة جماعية جديدة، وتغيَّر فهم الماضي، ففي زمنه لم يكن مصطلح المحرقة مُطبَّقًا على الإبادة الجماعية التي قام بها النازيون ضد اليهود، وتطورت الردود السياسية والقانونية حولها، لكن قيمة عمل لِمكن لم تحظَ بالتقدير المناسب؛ فنجد الغالبية العظمى يشيرون إلى الاتفاقية بدلًا من الإشارة إلى لِمكن نفسه في

الحصـول علـى تعريف للإبـادة الجماعية، وهذا أمر مؤسـف؛ لأنـه رغم أنه لم يكن لِلمّكن القول الفصل إلا أنه قدَّم فهمًا أكثر ملاءمة، وترابطًا من ذلك الذي يمكن استخلاصه من الاتفاقية، وعلاوة على ذلك ابتعد الكثير من المؤلفين عن منهج لِمكن بطرق تعيق الفهم، محاولين بذلك إدخال تحسينات على الاتفاقية، علينا أن نتعامل مع إسهامه بما يفوق الشعائر الدينية للمعقّبين الذين ينبذون أفكاره الأساسية، وتُعدُّ استعادة معنى الإبادة الجماعية الصادر عن لِمكن بداية ضرورية لدراسة جدية.

الإطار الاجتماعي عند لِمكن

صـاغ لِمكـن أفـكاره للمـرة الأولى عـام 1933م عندما طرح مسـودة قانون دولـي لمناقشـتها في مؤتمر في مدريـد، وهو مؤتمر يحظـر البربرية والتخريب المتعمد للممتلكات العامة (راجع الإطار2.1) فقد كان لِمكن يهدف إلى تعريف جريمـة بربريـة عامـة اشـتملت على ما هـو أكثر مـن الأنماط الفرديـة للأفعال العنيفة أو القمعية؛ لتتضمن الأفعال الأكثر شمولية:

> تشكل أفعال هذه السمة إساءة لقانون الأمم المتحدة، فأطلقنا عليها اسـم الأفعـال البربريـة، وعنـد النظر إليها بشـكل منفصـل فإنها تسـتحق العقاب وفق الأنظمة الخاصة؛ بسبب الصفة السائدة فيها، والمتمثلة بتعريض وجود المجموعة المعنية، والنظام الاجتماعي للخطر.

جادل في أن البربرية والتخريب المتعمد للممتلكات العامة جرائم دولية، فقـال: «ليسـت القضيـة مسـألة خطر عـام على وجـه الخصوص، وإنمـا ترتبط بمفهوم أوسع وخطر عام نرغب في تسميته بالخطر الدولي»[2].

تُعد البربرية المبشِّر بالإبادة الجماعية، وبعد فشل طرح لِمكن الأساسي، مُنِعَ من السفر إلى مقر توقيع الاتفاقية، ولم يُناقش الأمر. تابع لِمكن البحث عن مصطلح وقانون يجمعان بين طبقة الأفعال العنيفة والمُذلّة التي تُرتكب بحق مجموعات كاملة، ولم يكن يهمه نمط معين من العنف، بل تهمة عامة تلقي الضوء على العناصر المشتركة بين الكثير من الأفعال التي إذا ما أخذت بصورة منفصلة شكَّلت جرائم معينة، وعلى عكس المفسرين اللاحقين الذين ركزوا على جريمة القتل الجماعي بعينها، كان لِمكن مهتمًّا بعملية أوسع لا تشمل العنف المنظَّم وحسب، بل تشمل الدمار الاقتصادي والاضطهاد، فقد كان ما يهمه بالتحديد الصفة المشتركة بين أنماط الأفعال كلِّها، بمعنى تهديدها لوجود تجمعات بشرية معينة، وللنظام الاجتماعي العالمي، وخلال الحرب العالمية الثانية بدا واضحًا قلق لِمكن حيال تهديدات كتلك، فقاد حملة ضد فظاعات عمليات الاحتلال النازية في أوروبا؛ لإقرار دمارهم الفريد من نوعه؛ إذ صعقه تصريح وينستون تشرشل Winston Churchill حينما قال: «نحن في حضرة جريمة لا اسم لها، ووصف سامانثا باور Samantha Power «وفجأة، اضطلعت حملة لِمكن بهدف معين ألا وهو: البحث عن كلمة جديدة»[3].

وقد عُرِض الحل المعروف (الإبادة الجماعية) الذي اقترحه في كتابه **حكم دول المحور** لأوروبا المحتلةعام 1944م Axis Rule inOccupied Europe (راجع الإطار 2.2)، والذي حذَّر فيه لِمكن بصورة خاصة من تفسير ضيِّق الأفق لمصطلحه الجديد.

الإطار 2.1. لمِكن: التعاريف

1933م

البربرية

التدمير المبيَّت للتجمعات القومية والعرقية والدينية والاجتماعية بما فيها: أفعال الإبادة الموجهة ضد تجمعات عرقية أو دينية أو اجتماعية؛ أيًّا كان الدافع وراءها، سياسيًّا أم دينيًّا... إلخ)؛ كالمجازر، والمذابح المدبرة، والأفعال المنفذَة بغية تدمير الوجود الاقتصادي لأعضاء تجمع ما...إلخ، وتتصل بهذه الفئة أنواع الأعمال الوحشية التي تتعرض لكرامة الفرد، كأعمال الإهانة.

التخريب

المتعمد للممتلكات العامة، وهو تدمير لأعمال الفن والثقافة التي تعبر عن مجموعة بعينها، وتميزها عن باقي المجموعات، ويعدُّ تعبيرًا عن عبقرية تميز تلك المجموعات عن غيرها.

1944

الإبادة الجماعية

تدمير أمة، أو مجموعة عرقية، فهذه الكلمة الجديدة مركبة من الكلمة اليونانية genos (العرق أو القبيلة) واللاتينية cide (قتل).

من كتاب حكم دول المحور لأوروبا المحتلة الصفحة 79 (من دون تاريخ).

الإبادة العرقية

ثمة مصطلح آخر يمكن استخدامه للفكرة ذاتها، أي الإبادة الجماعية، وهو الإبادة الإثنية، ويتكون من الكلمة اليونانية ethnos أمة، والكلمة اللاتينية cide بمعنى قتل.

من كتاب حكم دول المحور لأوروبا المحتلة الصفحة 79.

obeikan.com

الإطار 2.2 لِمكن: الإبادة الجماعية النازية

نمت الإبادة الجماعية التي نفَّذها النازيون من خلال هجوم متزامن على مناحٍ مختلفة من حياة الأسرى، ففي المجال السياسي تمثلت بتدمير مؤسسات الحكم الذاتي، وفرض نمط ألماني للإدارة، وفي المجال الاجتماعي تمثلت بتعكير صفو التلاحم الاجتماعي للأمة المعنية، وقتل عناصر النخبة المثقفة أو إبعادها، أما في المجال الثقافي فتمثلت بحظر المؤسسات والأنشطة الثقافية أو تدميرها؛ وذلك باستبدال التعليم المهني بتعليم متعلق بالفنون الحرة من أجل الحؤول دون التفكير الإنساني، أما في المجال الاقتصادي فتمثلت بتحويل الثروة إلى الألمان، وحظر ممارسة الأعمال التجارية والوظائف على الناس الذين لم يشجعوا التعصب الألماني من دون تحفظ وعلى الصعيد الحيوي، عن طريق سياسة إجلاء السكان، وتعزيز تكاثر الألمان في البلاد المحتلة، وفي مجال الوجود الحي عن طريق الشروع بإيجاد نظام تقنين تجويعي لغير الألمان، وعمليات القتل الجماعي، ولا سيما اليهود والبولنديون والسلوفانيون والروس، أما فيما يخص الموضوع الديني فتمثلت بالتدخل في أنشطة الكنيسة والتي لا تقدم في الكثير من البلدان القيادة الروحية وحسب بل القومية أيضًا، وفي مجال الأخلاق عن طريق محاولات لخلق جو من الانحطاط الأخلاقي من خلال دعم المنشورات الإباحية، والأفلام السينمائية، وشُرب المُسكرات.

من كتاب: حكم دول المحور لأوروبا المحتلة: 12_11.

لا تعني الإبادة الجماعية «التدمير الفوري لأمة ما إلا عندما يتم ذلك بالقتل الجماعي لأفراد تلك الأمة كلِّهم، بل إنها ترمي إلى تحديد خطة منسقة من الأعمال المختلفة الهادفة إلى تدمير أسس الحياة الجوهرية لمجموعة قومية؛ بغرض إهلاك المجموعات ذاتها»[4]، وهذا للإشارة إلى الفروق الدقيقة

obeikan.com

للكلمة المفتاحية التي استخدمها لِمكن لتعريف الإبادة الجماعية ألا وهي التدمير، بوساطة الفرق بين التدمير الفوري لأمة ما، وتدمير الأسس الجوهرية لجوانب حياتها، فقد كان لِمكن واضحًا في أن الإبادة الجماعية تشير بصورة عامة إلى المعنى الأخير؛ فالتدمير الفوري بمعنى القتل الجماعي لأفراد أمة ما مثَّل شكلًا مختلفًا معينًا، لكنه لم يُعرِّف الإبادة الجماعية بذلك المعنى.

ضُرب تعريف لِمكن بوصفه مثالًا في فحوى كتابه تمامًا كما عُبِّر عنه في شرحه الكامل لكيفية تطبيقه في الحالة النازية (راجع الإطار 2.2)، فهو يظهر أن مصطلح الإبادة الجماعية كان بالنسبة إلى مبتكره «عملية شاملة هاجمت فيها قوة لتدمر نهج حياة الشعوب ومؤسساتها»[5]. شكَّلت الإبادة الجماعية الجسدية -بما في ذلك القتل الجماعي- بُعدًا واحدًا من الهجوم الشامل، فيشير ويليام شاباس William Schabas وفقًا لمعايير الجدالات اللاحقة قائلًا: «إن تعريف لِمكن كان ضيق الأفق، إذ إنه كان يتناول جرائم موجهة ضد جماعات قومية لا ضد جماعات بالعموم، وفي الوقت نفسه كان واسعًا لدرجة أنه تبصر ليس بالإبادة الجماعية الجسدية وحسب، بل بالأعمال التي تهدف إلى تدمير ثقافة المجموعة، وسُبل عيشها أيضًا»[6]، كان تعريف لِمكن مختلفًا بصورة جلية عن معظم التعاريف اللاحقة، كما يعترف بعض مقترحي تلك التعريفات؛ فعلى سبيل المثال يعيد ستيفن كاتز Steven Katz تعريف الإبادة الجماعية على أنها: «تحدث فقط حينما تكون نية محققة -مهما كانت درجة النجاح التي تُنفَّذ بها- للتدمير الجسدي لجماعة بأكملها، وكما يعرِّف الجناة تلك المجموعة»[7] هذا يحصر معنى الإبادة الجماعية التي نفَّذها النازيون في قتل اليهود فقط، بيد أن كاتز يدرك أن استخدام لِمكن الخاص

لمصطلح الإبادة الجماعية لم يكن -انطلاقًا من فهمه الخاص- ينطبق فقط على السياسة النازية المعادية لليهود؛ يبدو أنه كان مقتنعًا بأن السلوك النازي ضد عدد من المجموعات الأخرى، اقترب من الفعل النازي المعادي لليهود، إن لم يكن تكرارًا لها، لذلك ينبغي تمييزه على أنه إبادة جماعية[8]، ويُصرِّح كاتز قائلًا: «إن السبب وراء إعطائي الأولوية للإبادة الجماعية الجسدية يعود بصورة مباشرة لا يشوبها الغموض إلى حقيقة أنه قبل كل شيء هذا هو ما يعنيه المرء عندما يصوِّر المحرقة على أنها مثال على الإبادة الجماعية»[9]، ويضيف قائلًا: «أجرؤ على القول إن رافائيل لِمكن يمكن أن يكون قد صاغ صياغة جيدة تعريفًا أقرب إلى تعريفي -إن لم يكن مطابقًا له- لو أنه كان يكتب بعد الحرب العالمية الثانية عندما تكشفت نوايا هتلر بإبادة اليهود، وبينما كان لِمكن يمارس عمله بين عامي 1942-1943م كان ما يزال غير قادر على رؤية الاعتداء المتعنت الاستبدادي بأكمله على حقيقته»[10].

بما أن لِمكن عاش حتى عام 1959م، وكان يكتب باستمرار عن الإبادة الجماعية، ويشن حملات للاعتراف بها، يبدو أنه كان ليعدِّل ذاك التعريف لو أنه رغب في فعل ذلك، ويتضح لنا سبب عدم قيامه بذلك عندما نطَّلع على فصله القصير المتمحور حول فكرة الإبادة الجماعية ككل في سياق كتاب **حكم دول المحور**، كان لِمكن نفسه يهوديًّا، ومهتمًّا بالطبع بالفظاعات المرتكَبة بحق اليهود -لقد فقد والديه، وتسعة وأربعين فردًا من عائلته- بيد أنه لم يعتقد للحظة أن الإبادة الجماعية التي نفَّذها النازيون كانت حملة موجهة بصورة حصرية أو حتى أساسية ضد اليهود، ولم يكن تدمير اليهود هو المعيار الذي ينبغي قياس أعمال الاضطهاد الأخرى التي يقوم بها النازيون بالنسبة إليه،

بل على العكس كان كتابه يهدف إلى إيضاح مدى شمولية محاولة النازيين لتدمير وجود الأمم غير الألمانية، ورفاهيتهم ومؤسساتهم وسُبل عيشهم بوضع ترجمات رسمية للقوانين النازية في البلاد المحتلة، لذلك من الممكن رؤية المرحلتين ذاتهما «الأولى تدمير النمط القومي للمجموعة المضطهَدة؛ أما الثانية فهي فرض النموذج القومي للمضطهِد»[11]. وفي القارة بأكملها كانت الإبادة الجماعية -كما هي حال البربرية- مفهومًا شاملًا للتدمير الاجتماعي لجماعات قومية، واعتقد لِمكن أنها تتمتع بقابلية ذات مجال واسع التطبيق إلى حد بعيد.

ويتضح ذلك كله من طريقة تقديم لِمكن للإبادة الجماعية، إذ كتب أن طريقة تفكير المحتلين الألمان تبدو كالآتي: «يجب تدمير الأمة العدوة الواقعة تحت سيطرة ألمانيا، أو تفكيكها، أو إضعافها، بدرجات مختلفة لعقود قادمة من الزمن، وهكذا سيكون الشعب الألماني في مرحلة ما بعد الحرب في موقع يمكنه من التعامل مع شعوب أوروبية أخرى من حيث موقع التحكم الأفضل متمثلًا بالتفوق الحيوي، وبما أن فرض سياسة الإبادة الجماعية هذه يعد مدمرًا للشعب أكثر من الإصابات الناتجة عن القتال الحقيقي، فسيصبح الشعب الألماني بعد الحرب أقوى من الشعوب الخاضعة، حتى وإن هُزِم الجيش الألماني، وفي هذا الصدد تُعدُّ الإبادة الجماعية تقنية جديدة من الاحتلال تهدف إلى الظفر بالسلم حتى وإن خسر الحرب»[12].

كان لِمكن غافلًا عن الاختلافات الهائلة في حدة السياسات النازية تجاه الشعوب المختلفة، لكنه مع ذلك أدرجها كلها تحت العنوان نفسه:

obeikan.com

تختلف خطة الإبادة الجماعية تبعًا لموضوع الحدة وأنماطها ودرجتها في كل بلد محتل، فبعض المجموعات -كاليهود- يجب تدميرها بصورة كاملة، وثمة «تمييز بين الشعوب التي تُعدُّ بأنها تتمتع بصلة قرابة دم مع الشعب الألماني مثل الهولنديين والنرويجيين والفلاندريين واللوكسمبورغيين، وأولئك من غير المتمتعين بصلة قرابة الدم معهم مثل البولنديين والسلوفينيين والصرب، بحيث تعدُّ التجمعات السكانية من المجموعة الأولى جديرة باستحقاق الجنسية الألمانية»[13].

لاحظ لِمكن أن بعض الجماعات وعلى رأسها اليهود «كان مقررًا أن تُدمَّر بالكامل، لكن وفي الأحوال جميعها تمثل تقنيات الإبادة الجماعية التي طوَّرها المحتل الألماني في شتى البلاد المحتلة هجومًا مركزًا ومنسَّقا على عناصر تكوين الأمة كافة»[14]. قد يختلط الأمر على بعضهم كما يجادل باور Power في أن «الربط بين الحل الأخير لهتلر ومصطلح لِمكن الهجين، سيُحدِث ارتباكًا لا نهاية له بالنسبة إلى صنَّاع السياسة والناس العاديين ممن افترضوا أن الإبادة الجماعية تحدث فقط عندما يمكن إظهار مرتكب الفظاعة -مثل هتلر- على أنه يمتلك نية القضاء على آخر فرد من مجموعة عرقية أو قومية أو دينية»[15]، ولم يكن الباحثون بمنأى عن هذا التشويش، لكن كان منهج لِمكن متناسقًا ومعقولًا إلى حد بعيد بوصفه تقريرًا شاملًا عن عمليات الاحتلال النازية، وأخذه الاختلاف في تجارب الشعوب المحتلة بالحسبان.

تمحور هدف لِمكن الرئيس حول تأسيس قانون يخص الإبادة الجماعية، وتعزيز هذا القانون، لكنه إضافة إلى ذلك عرَّف مفهومًا اجتماعيًّا يمكن استخدامه في البحث التاريخي، ففي كتاب دول المحور تحكُم، «يُتطَرَّق إلى

الإبادة الجماعية النازية على أنها هجوم شامل يستهدف الوجود الاجتماعي للشعوب المحتلة، وبعد الحرب العالمية الثانية أرسى لِمكن أسس دراسة تاريخية طموحة واسعة النطاق عن الإبادة الجماعية»[16]، لا شك أن لِمكن كان محقًّا في أنه من أجل فهم معنى الإبادة الجماعية ينبغي لنا أن ننظر إلى القتل والإيذاء الجسدي على أنهما عنصران من العملية الأوسع للتدمير الاجتماعي، فالنازيون لم يهدفوا بالدرجة الأولى إلى قتل شعوب خاضعة لهم -بمن فيهم اليهود- بل كانوا يهدفون إلى تدمير سُبل عيشهم ومؤسساتهم الاجتماعية، لذلك كان لمكن مُصيبًا في تشديده على الطبيعة الموحدة المتعددة الأبعاد للهجوم، وعدم وقوعه في شَرَك -كما حدث مع الكُتَّاب اللاحقين- الفصل بين العنف الجسدي والتدمير الاجتماعي، مع التأكيد أن عمله يبقى نقطة البداية الأساسية للفهم الاجتماعي لعمل الاتفاقية، وللردود السياسية والدولية.

لم يقدِّم لِمكن في كتابه **حكم دول المحور** Axix Rule سردًا معقولًا بالكامل للعلاقات بين الغايات المدمرة على المستوى الاجتماعي، والوسائل العنيفة أو الفتاكة، وقد كان إدراجه مجال الوجود الجسدي بصفته أحد طرق النازية المنسقة في الهجوم أمرًا غاية في الجمود، إذ أخفق في إيضاح أن العنف والتهديد به يقفان خلف ممارسات الإبادة الجماعية كلها، حيث اشتملت الإبادة الجماعية أحيانًا على ما يفوق القتل بمراحل، إن لم يكن مرتكبو الإبادة الجماعية قد لجؤوا إلى العنف الجسدي المباشر في بعض الحالات، فعادة ما كان ذلك يُعزا إلى أنهم أسسوا مسبقًا من خلال أعمال عنف سالفة، أو التهديد بها لسيطرة مطلقة على أهدافهم، أو لأن العنف غير المباشر -التجويع على سبيل المثال- سيكون كفيلًا بتدميرهم، رغم أنه لم يكن تعريف الإبادة

الجماعيـة بطريقـة عنف محددة كالقتل أمـرًا ممكنًا، اسـتلزمت فكرة التدمير الاجتماعـي بالضـرورة طرقًا عنيفة بالعمـوم، «ماذا يمكـن للتدمير الاجتماعي أن يعنـي سـوى أن يكـون عمليـة عنيفة إلـى حد بعيد؟ يبـدو أن لِمكـن وافق على ذلـك الطرح عندما قلَّص فيما بعد حتى الإبادة الجماعيـة الثقافية إلى أعمال عنـف»[17]، بيـد أن العجـز فـي منهج لِمكن عنـى أن العلاقة بين العنـف والتدمير الاجتماعي كانت لاتزال بانتظار أن تُفهم بصورة كاملة.

علم الأحياء والأعراق

يمثـل هـذا الإخفـاق مشـكلة أعـم تتعلق بأفـكار لِمكـن؛ إذ لم يكـن واضع نظريات اجتماعية متمرِّسًـا أو مؤرِّخًا، بل كان محاميًا وناشـطًا وباحثًا مستقلًا، يمنحنـا لِمكـن الأسـاس لمفهوم اجتماعـي قـوي، إلا أن الإطار الأوسـع لطريقة تفكيـره عكـس علاقتـه بالتيـارات الفكريـة فـي عصـره، وبذلك نجد أنه غرس مفهومه الجديد في عدد من الجدالات التي يصعب على الفهم المعاصر العلمي والاجتماعي والتاريخي تقبلها، أما اليوم، فيعدُّ الوضوح حول حدود الافتراضات الأساسـية للِمكـن، وصوغ فهمنا للإبـادة الجماعية في تعابيـر ملائمة أكثر أمر مهم بالنسبة إلى طلاب الإبادة الجماعيّة.

ويعـدُّ اختيـار لِمكـن بحـدِّ ذاتـه لكلمـة genocide متكلَّفًـا، «فجـذر الكلمة genos جماعات هو تعبير معقد اسـتخدمه لِمكن ليصف الجماعات الاجتماعيّة التي دُمِّرَتْ، فالكلمة اليونانية yevoc (genos) تشـير بصورةٍ رئيسـةٍ إلى العِرْق والأصـل والنسـب، إلا أنَّ لهـا معنـى أعـمَّ وهـو المنزلـة الاجتماعيّـة أو الفئـة أو الصنف»[18]، وعندما ضرب العِرْق والقبيلة مثلين، فيبدو أنَّ لِمكن أعطى المعنى

الضمني الأول المتعلق بهدف الإبادة الجماعيّة كجماعةٍ اجتماعيّةٍ مشكلة بيولوجيًّا من الانحدار السلاليّ المشترك، يفسِّر مارك ليفين Mark Levene اختياره للتعبير في المعنى الآتي: وفقًا له فإنَّ لِمكن «حاول الإشارة إلى الرابط الاجتماعي- البيولوجي لجماعةٍ ما عن طريق استخدام تعبير genos»[19]، نستنتج إذن أنَّ أفراد الجماعات الاجتماعيّة الذين تعرضوا للإبادة الجماعيّة إنْ لم يكونوا مرتبطين بيولوجيًّا بالضرورة، وتلك المجموعات التي لم تكن مشكَّلةً بيولوجيًّا، فإنه لا تنطبق عليها فكرة الإبادة الجماعية المبنية على الانحدار السلاليّ؛ لأن هناك عواقب سلبية واضحة لفكرة الإبادة الجماعيّة بحدِّ ذاتها، التي لا يمكن تجنبها إلا إذا فسَّرنا بوضوحٍ فكرة genos في المعنى البيولوجي البديل الأكثر عمومًا في المعنى، وغير المقيد.

من وجهة نظر المعرفة المعاصرة، لا يعدُّ تعريف الجماعات الاجتماعيّة بيولوجيًّا أمرًا مقبولًا، فقد رفض ماكس ويبر Max Weber أيَّ صلةٍ ضروريةٍ بين الوراثة البيولوجية المشتركة أو العِرْق من جهة، والعلاقات الاجتماعية المشتركة من جهةٍ أخرى، قبل أن يكتب لِمكن بعقود[20]، وفي الوقت الراهن لا تعني كلمة العِرْق فئةً اجتماعيّةً على الإطلاق، ولم يعد ينظر للقبائل على أنّهم مرتبطون بيولوجيًّا بالضرورة، وأصبح من المفهوم أنَّ الانتماء العِرْقي مبني تمامًا اجتماعيًّا وبيولوجيًّا كما يصوغه أنثوني سميث Anthony Smith «العِرْق ليس أمرًا بدائيًّا على الإطلاق»[21]، وفي النهاية أصبحنا نعلم أنَّ الأمم ليست جماعاتٍ سلاليةٍ على الإطلاق، بل بعبارة بينديكت أندرسن Benedict Anderson المتعارف عليها على نحوٍ واسعٍ هي «مجتمعاتٌ مُتخيلَةٌ imagined communities»[22]، إنَّ الرابط الاجتماعيّ- البيولوجيّ للمجموعات

العِرْقيّـة والقوميّة والوطنية هو خرافـة طوَّرتها الأيديولوجيات القوميّة والعِرْقيّة السـلاليّة، والإبـادة الجماعيّـة، وكمـا نفهـم اليـوم فـإنَّ أصـل الجماعـات التي تسـتهدفها الإبـادة الجماعيـة المعاصـرة ليسـت مبنيّـةً بيولوجيًّـا، ولا يمكن أنْ تكـون كذلـك، رغـم أنَّ المجموعـات الاجتماعية هـي بالفعل «مشـكلة من خلال الممارسـات الماديـة للأفـراد البشـريين الملموسـين المجسـدين والمتوالدين بيولوجيًّا»[23]، إلا أن الجماعات البشـرية ليسـت مبنيةً على العلاقات البيولوجيّة، بل على العلاقات الاجتماعيّة.

يبدو أنَّ لِمكن قد فهم ذلك، فكتب مؤثرًا في من بعده:

«إنَّ كلًّا مـن كلمـة genos الرومانيّـة، وكلمـة genosاليونانيّـة، وكلمة genos السنسـكريتية هـي في الأصـل ذات الوحـدة الاجتماعيّة، مُتخيَّلة فـي البداية بوصفها وحدة عائليّة موسـعة لديها وعي بسـلف مشـترك- حقيقي في البدء وبعدهـا مُتخيـل...؛ فكلمـة genos هـي مؤسسـة بشـرية بدائيـة وعالمية...، ومـن الواضـح أنَّ البشـريّة أمضـت معظـم تاريخهـا فـي إطـار تلـك الوحـدة الاجتماعيّة»[24].

رغـم ادعـاء تومـاس بوتشـر Thomas Butcher أنَّ وجهة نظـر لِمكن كانت «وجهة نظر سعت كتبٌ لتصحيحها لاحقًا -ككتاب بينيدكت أندرسن الجماعات المتخيلـة[25]، إلا أن دوغلاس إرفيـن إريكسـون Douglas Irvin–Erickson كان محقًّـا فـي جدالـه أنَّ «لِمكـن خـرج عـن التقليـد القـائل بـأنَّ الأمم لديهـا وجود عضـوي موضوعـي تحدِّده اللغـة والدم والأرض؛ معرِّفًا إيّاهـم عوضًا عن ذلك أنَّهـم عائـلات عقليـة، وهكذا توجد فكرة الأمـم في عقول البشـر»[26]، وعَرَفَ أنَّ أفراد الأمم لا يملكون روابط قرابة، ويبدو أنَّه اسـتخدم تعبير العِرْق اسـتخدامًا

openeikan.com

طليقًا بإنصاف؛ على سبيل المثال: وصَفَ اليهود بكلٍ من (عِرْق وشعب)[27]، وكتب عن (عِرْق اللاجئين)[28].

إذا صحَّ ذلك، فخطأ لِمكن كان وصف الجماعات المتخيَّلة لمجتمعاتٍ كبيرة مستخدمًا مفهومًا مبنيًّا على ماضٍ افتراضي مبني على القرابة، ويوحي أنَّ الأمم والأجناس والقبائل المعاصرة تطورت بطريقةٍ نشوئيّة من مجموعاتٍ صغيرةٍ مبنيةٍ على القرابة، عاشت فيها الكائنات البشرية قبل نشوء الحضارات الكبيرة. حتّى إن كانت المجموعات الصغيرة من الصيادين ببساطةٍ وحداتٍ عائلية موسعة، وحتّى لو كانوا؛ فسيكون من المُضلِّل تقديم التجمعات المعاصرة المعقدة على أنّها متشابهة أساسًا. لقد كانت البنية الاجتماعية للعلاقات البيولوجيّة هي المهمة دائمًا في الحياة البشريّة الاجتماعيّة، وليس تلك العلاقات ذاتها، وهذه العملية البنيوية ما تزال مهمةً للحياة الأُسريّة، ولكنَّها أقل أهمية للجماعات الأكبر. تؤثر أفكار البيولوجيا والعِرْق في كيفية بناء التجمعات؛ مثل الأمم، إلا أنَّ تلك الأفكار ليست أكثر من جزءٍ مما هي عليه، ففهم الهويّة القوميّة لا يحتاج إلى إثارة البيولوجيا أو العِرْق.

ينشأ الغموض في فكرة لِمكن من حقيقة أنَّه اقترح الإبادة الجماعية بوصفها مفهومًا عامًا، وتحليلًا لقضية النازيّين في آنٍ واحدٍ، التي أثَّرت الأفكار والطرق البيولوجية بصورة مهمَّة فيها، وعكس تأكيد لِمكن البيولوجي تحليله لسياسات النازيّين البيولوجية التي استهدفت التناسل الجسدي للمجموعات المستهدفة، وحاول الإقناع بتعبير الإبادة الجماعية؛ لأنَّ تعبير التجريد من الإنسانية الذي استخدم من قبل «لا يشير ضمنيًّا إلى هدم البنية البيولوجية، ويترك الجانب البيولوجي مثل تسبيب الانحدار الفيزيائي، وحتى تدمير السكان

المعنيين»[29]، ولكن لِمكن ربط بالخطأ بين المفهوم العام للإبادة الجماعية والسمة الثانوية للقضية النازية، لقد شارك قاتلون جماعيون آخرون في العنصرية البيولوجية في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين عندما كانت الأيديولوجيات العِرْقية والسلالية في أوج تأثيرهما، ولكنها لم تَسُد على الإبادة الجماعية كلها في تلك الحقبة، ناهيك عن التاريخ بأكمله، وفي الوقت الذي كان النازيون يرتكبون فيه الإبادة الجماعية بناءً على الأفكار البيولوجية العِرْقيةللألمان وأعدائهم، كان ستالين يرتكبها بناءً على الأفكار الاجتماعية الخاصة بالطبقة الاجتماعية للسوفيتيين وأعدائهم، لم تكن الإبادة الجماعية بيولوجية عمومًا حتّى آنذاك، وحتمًا ليست كذلك الآن، يستخدم الكثير من القاتلين الجماعيين القتل والعنف الجسدي والطرد القسري وإجراءات قسرية أخرى؛ لتدمير مجموعات العدو الموجودة في الأراضي التي يرغبون في السيطرة عليها، من دون امتلاك نظرياتٍ بيولوجية، أو استخدام الطرق البيولوجية بصورةٍ محددةٍ.

من المهم جدًّا التعامل كما ينبغي مع مشكلتين جوهريتين؛ الأولى هي السؤال ما إذا كانت دراسة الإبادة الجماعية تُقَرُّ على وجهة النظر البيولوجية التي تبنَّاها النازيون القاتلون الجماعيون الآخرون أم لا، وبخصوص هذه المسألة لا يوجد مكان للغموض، بل يجب أن نكون واضحين بخصوص مسألة أن الهياكل الاجتماعية مبنية اجتماعيًّا لا بيولوجيًّا، ولا يمكن تدميرها إلا اجتماعيًّا، حتّى لو كانت التدابير البيولوجية بين تلك التي تبنَّاها بعض القاتلين الجماعيين، أما المشكلة الثانية فهي إذا ما كانت الإبادة الجماعية تدل فقط على حالات يرافق فيها دمار المجموعة نظرة أو طرق بيولوجية،

إنَّ ليفين الذي يدرك بأنَّ الجماعات الاجتماعية لا يمكن أن تكون مجموعات بيولوجية، يشعر بأنَّه مضطر إلى إبقاء هذا بوصفه معيارًا للإبادة البشرية: «على الأقل...، يجب على الجاني أنْ يرى المجموعة المستهدفة بصفتها جماعةً عضويةً، ويهدف إلى إبادة العِرْق المزعوم»[30]، غير أن ربط مفهوم الإبادة الجماعية بهذا الاعتقاد يعطي قوةً ومعرفة لميزةٍ غير جوهرية، ينبغي أن نرفض ذاك التأثير المتخلِّف للخرافة القائلة إنَّ المجموعات الاجتماعية مبنية بيولوجيًّا.

إذا استمررنا باستخدام كلمة لِمكن genocide الإبادة الجماعية، فيجب أن نفسر كلمة genos الأنواع الاجتماعية بمعناها الأعمّ الذي يعني المنزلة الاجتماعيّة للناس أو فئتهم أو صنفهم، والذين يُستهدفون بالإبادة الجماعية بناء عليه، ويُعرّفون بوجهات نظر متفاوتة، وغالبًا ما تكون خيالية، إنَّ وجهة النظر القائلة إنَّ الجماعات مبنية بيولوجيًّا هي عنصر واحد فقط من بعض الأيديولوجيات المرتبطة بالإبادة الجماعية.

الثقافة والأمم

يبقى سؤال ما إذا كان مفهوم الأنواع الاجتماعية وهو مجرَّد من معناه البيولوجي مفهومًا، وذا معنى لدراسات الإبادة الجماعية، حيث دافع لِمكن بقوةٍ عنه «عادًّا مشروعه تاريخ الإبادة الجماعية إنجازًا لا يقل عن تقديم عنصر جديد لدراسة تاريخ المجموعة كمصدر للخلق الثقافي، والتوتر، والصراع، تدفع لإجراء تحقيق عن عناصر الإبادة الجماعية في التاريخ، والتي تكون في بعض الأحيان أكثر أهمية من عناصر الدولة والإمبراطورية»[31]، وقد كتب حول

هـذا المعنـى: «إنّ الإبـادة الجماعيـة جريمـة يرتكبها عـرق ضد عـرق آخر»[32]، سيقول دارسو الإبادة الجماعية المعاصرة عكس ذلك، إن ممثلين جماعيين سياسيين أو عسكريين محددين يرتكبونها عادةً (على سبيل المثال أنظمة أو أحزاب أو منظمات عسكرية أو منظمات برلمانية) ضد سكان (ولكن ليس بالضرورة الأفراد الذين يشكلون تلك التجمعات السكانية) يحملون هويات مجموعة معينة.

لم يُعتمد مفهوم لِمكن عن الأنواع الاجتماعية على الإطلاق سوى في نص الإبادة الجماعية، ويبقى الفضول المتعلق بتاريخ فكرة الإبادة الجماعية؛ لأنها لا تضيف سوى القليل لفهمنا، إنها نسخة تصوّرية لما ينقده عالم الاجتماع روجرز بروبايكر Rogers Brubaker على أنَّها «جماعة الميل إلى معاملة الجماعات العِرْقية والأمم والأجناس بوصفها وحدات جوهرية يمكن نسب الاهتمامات والوسائل إليها، عادِّين إيّاهم جماعات متجانسة داخليًّا ومترابطة خارجيًّا، ولديهم أهداف مشتركة»[33]، تلك الفكرة من ناحية ثانية لها مصداقية في العلوم الاجتماعية الحديثة، وتوصيف الأنسجة أكثر بقليل من نظرية أن مثل تلك الجماعات هي وحدات بيولوجية، وتشير إلى مشكلة في تفكير لِمكن الذي يتجاوز استخدام مصطلحه، حيث اقترح أنَّ المجموعات البشرية –على وجه الخصوص الأمم– تشكِّل الكلَّ الاجتماعي، وبناءً عليه نستنتج أنَّ الإبادة الجماعية هي التدمير الشامل للمجموعات وفي وجهة نظر لِمكن، «تعني السمة الوجودية الخاصة للمجموعة البشرية أنَّ دمار تلك المجموعة سيأخذ بالتأكيد شكل هجومٍ متزامن، تلك السمة توحي بضرورة –عوضًا عن مجرد احتمالية– الهجوم على جوانب من الحياة متعددة ومختلفة للأمة الضحية»[34].

ليست افتراضات لِمكن عن الكلِّ الاجتماعي صحيحة، شأنها شأن مصطلح الأنواع الاجتماعية، فقد ازدهرت الشمولية في هذا المجال، «وصار للمجتمعات الاجتماعية -في الغالب- أفكار أساسية خلال النصف الأول من القرن العشرين، وأنواع عديدة من التفكير الأساسي والنفعي، بما في ذلك علم الإنسان لصديقه البولندي برونيسلو مالينوسكي Bronislow Malinowski، الذي استند إليه لِمكن»[35]. في النهاية، رُفضت مثل تلك الأفكار المتعلقة بالمجتمع؛ لأنها انفرادية المنهجية لويبر Weber، مدعومةً بتحليل الطبقة الاجتماعية المستمدة من كارل ماركس Karl Marx، فقلة من علماء الاجتماع أو المؤرخين يرون اليوم المجتمعات الأممية ككلٍ مرتبط، ناهيك عن تبنيهم لها بوصفها إطارًا أساسيًّا للتحليل، وبالأحرى نفهم أنَّ الحياة البشرية الاجتماعية تجري من خلال علاقاتٍ معقدةٍ تتجلى في العديد من الطرق المختلفة. إنَّ العلاقات الاجتماعية تحددها الطبقة الاجتماعية والجنس، إضافة إلى الانتماء العِرْقي، والانتماء القومي، والدين، ومرتَّبة مكانيًّا من الناحية المحلية والإقليمية والدولية والانتقالية والعالمية، إضافة إلى الناحية القومية، فهي مترابطة بالضرورة، فما ندعوه بالمجتمعات هي مجموعات محددة من العلاقات، مدموجة دومًا في إطاراتٍ أكبر من العلاقات الاجتماعية، ونافذة بدرجة أكبر أو أصغر.

إذا تحتَّم علينا رفض فكرة أن المجتمعات يجب أن تُرى ككل، نستنتج أنّه لا يوجد سبب لتكون الإبادة الجماعية شمولية، حتى لو كان مرتكبو الإبادة الجماعية غالبًا ما يرون أعداءهم من ناحية شمولية، فغالبًا ما يصنف مرتكبو الإبادة الجماعية الطبقات الاجتماعية، والمجموعات، السياسية، والجنس، والمجموعات الدينية إضافة إلى الأقليات العرقية أو القومية على أنّهم أعداء

يجب تدميرهم؛ لذا لا تشتمل الإبادة الجماعية دائمًا على هجوم شاملٍ على أمةٍ كاملةٍ أو مجموعةٍ عِرْقيةٍ، إنَّه دومًا متعدد الطرق، والمعنى أنَّه يشتمل على الإكراه الاجتماعي إضافة إلى القوة الجسدية، إلا أنَّ ذخيرة العنف تختلف لدرجةٍ كبيرةٍ وفقًا لصفة التجمع السكاني المستهدف، إضافة إلى أهداف المجرمين، ولا تتبع دائمًا النموذج الذي حدَّده لِمكن في كتاب **حكم دول المحور**.

عرَّف لِمكن الصفة الشاملة للمجموعات من خلال فكرة الثقافة، فاختزل بصورة متزايدة حقول الإبادة الجماعية الثمانية الأولى، لتصل إلى ثلاثة حقول رئيسة هي: الجسدية، والبيولوجية، والثقافية، مع كون الثقافة النقطة الجوهرية، غير أنَّ مفهوم لِمكن الثقافي شأنه شأن فكرته عن الأنواع الاجتماعية، يغاير صياغته في مطلع القرن العشرين، لقد كان مفكرًا جوهريًّا، يشير بوتشر «ويمثل تشكيله لكلمة الأنواع الاجتماعية الامتداد الأبعد لرأيه الشمولي عن الثقافة البشرية؛ أي اعتقاده الهيرديري (نسبة إلى الفيلسوف الألماني يوهان هيردر Johann Gottfried Herder) أو المالينوسكي بأن كل جماعة بشرية تحتوي على روح ثقافية خاصة ومميزة»[36]. افترض أن المجتمعات الحديثة تحدد بالثقافات القومية، «وساوى بين الثقافة والثقافة العالية؛ لأنها مرادفة للقومية، على خلاف المحلي والقروي والإدراك، وهذا ما أشار إليه مايكل مكدونل وديرك موزس»[37]؛ لذلك كانت الإبادة الجماعية تدمير الجماعة أو المجتمع، من خلال الهجومٍ على نخبة ثقافتها القومية، والمؤسسات المرتبطة بها.

تلك الفكرة المحدودة الأفق عن الثقافة لا يمكن أن يقبلها أي نوعٍ من أنواع دراسة الثقافة المتعددة اليوم، فقد رُفِضت من الجهات كلها، من قبل علماء الأنثروبولوجيا، والمؤرخين الذين يعاملون الثقافة على أنَّها طريقة حياة،

obeikan.com

لا نخبة الثقافة، مؤكدين في الغالب بنيتها المحلية، وطبقتها الاجتماعية، وجنسها، وعن طريق الباحثين في الدراسات الثقافية الذين يؤكدون بازديادٍ أن الثقافة المشهورة الانتقالية والعالمية مفهومة بصورةٍ أعمّ عمّا رآها لِمكن، التي أحيانًا تتجلى في أشكالٍ قوميةٍ، ولكنها مركبة من كل أشكال ومراحل العلاقات الاجتماعية، ومتعارف عليها بصورة أكبر، وإضافة إلى ذلك فإنَّ الثقافة عادة تتطور ليس فقط من خلال الحفاظ عليها، بل من خلال الحدود الانتقالية أيضًا.

في واحدة من حجج لِمكن الجوهرية وجدت الثقافات القومية في إطارٍ أكبر: «ندرك بأنَّ الأمم عناصر جوهرية من مجتمع العالم، فالعالم لا يمثل نشاطًا ثقافيًّا وفكريًّا فقط، بقدر ما تخلقه مجموعاته القومية المشكِّلة له...، لذلك، ينتج من تدمير أمةٍ خسارة في مساهماتها المستقبلية للعالم»[38]، بذل لِمكن مجهودًا ليؤكد أنَّ «فكرة الأمة يجب ألَّا تلتبس مع فكرة القومية»[39]، ولكن من وجهة النظر العالمية لا تزال تمجد الثقافات كقمة التكوين الثقافي في انعكاسٍ نقدي لقومية المجتمع العميقة في القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين في أوروبا، لكن من جهة أخرى أهمل لِمكن حقيقة أنَّ معظم الحياة الاجتماعية لم تكن قوميةً بالكامل، وقد وثَّق عن غير قصد عند كتابته عن الهرب في عام 1939م من مقاطعة بولسي البولندية، حيث «لم يستطع المسيحيون الفلاحون غير اليهوديين أنْ يحددوا أصلهم العِرْقي، أو جنسيتهم، وأشاروا إلى أنفسهم ببساطةٍ كبيرة نحن من هنا»[40]، ومن ناحية أخرى، تغاضى عن حقيقة أنَّ الثقافة العالية التي كان يقدِّرها هي من الأدوات التي صنعها الإنسان في المسيحية الوسطى، التي تحولت إلى فن عصر النهضة والفلاسفة والمؤلفين

الحديثين العظماء، ولم تكن ببساطة أو بصورة رئيسة قوميةً في الأصل، بل نتجت عن السياقات الثقافية الانتقالية، والسياقات الثقافية القومية، بمعنى أن الثقافة العالمية ليست محصلة المنتجات القومية فقط، لذلك منح سياق لِمكن أحادي الأبعاد الكثير من التصديق للتخصيصات القومية، ولا يمكن أن يخدم بوصفه إطارًا لفهم الثقافة العالية -ناهيك عن الثقافة بصورة عامة- حتى في المدة التي كتب فيها.

ويضع قصور فكرة لِمكن عن الثقافة تفكيره عن أهميتها بالنسبة إلى الإبادة الجماعية موضع الشك أيضًا، وهذه ليست مسألةً صغيرةً بما أنَّ الدراسات المتأخرة ركَّزت كثيرًا على دور «الإبادة الجماعية الثقافية في تفكيره بالتحديد؛ بسبب مركزية الفهم الثقافي بالنسبة إلى الاستعمار»[41]. يوجد بعدان لرأي لِمكن في ذاك الموضوع؛ الأول أنه أوجد الإبادة الجماعية بطريقةٍ ثقافية أساسية؛ لأنَّ غايتها النهائية تدمير وحدة ثقافية، ففي تأريخه عن الإبادة الجماعية، وخصوصًا في الكتابة عن الأمريكيين، رأى دمار ثقافات الشعوب الأصليين كجوهر للإبادة الجماعية، ولكن لا يمكن لفكرة الثقافة تلك أنْ تحمل وزن تمثيل جوهر ما يتم الهجوم عليه في حيز الإبادة الجماعية بأكملها، فهو يعدُّ النموذج الأكثر تعقيدًا في **حكم دول المحور**، والذي يقرُّ أن تميز البعد الاقتصادي والسياسي والأبعاد الأخرى للقوى الاجتماعية أجدر بالتفضيل.

البعد الثاني أن لِمكن بنى العديد من الأفكار حول التدمير الثقافي لعملية الإبادة الجماعية، ويجادل ديرك موزس أنه لم يعد طريقة التدمير ثقافيًّا على نحو صرف أو رئيس: «لم يعد التدمير الثقافي منفصلًا عن الهجوم على عناصر المجموعة الجسدية والبيولوجية، وعدَّ الإبادة الجماعية كما يدعوها موزس،

ممارسة اجتماعية تمامًا تتألف من تقنيات متعددة، كان التدمير الثقافي واحدًا منها فقط»[42].

تبعًّا لهذا المنطق يعدُّ مصطلح الإبادة الجماعية مربكًا؛ إذا كانت الإبادة الجماعية هي دمار وحدة ثقافية، فإنَّ الإشارة إلى الإبادة الجماعية بصورة عامة بالثقافية تناقض لفظي، فلا يمكن للإبادة الجماعية الثقافية أن تشير سوى إلى هجوم ثقافي مميز، وفي مراحل مختلفة يبدو أن لِمكن عدَّ هذا منفصلًا عن العنف الجسدي، وفي مقترحه في مدريد مثَّل الدمار الثقافي والتخريب بوصفه نوعًا بارزًا، إلا أنه مرتبط بالإبادة الجماعية البربرية، وفي مشروع قرار الأمم المتحدة، ضغط بشدة لتضمين بندٍ ثقافي، وجادل أنَّ «الإبادة الجماعية الثقافية هي أهم جزء من الاتفاقية»[43]، علاوةً على ذلك تختلف روايته الناتجة من التجربة عن الإبادة الجماعية النازية عن تعريفه العام، فهو يعد القمع الثقافي إبادةً جماعية، حتّى ولو لم يرافقه التدمير الأعم للمجموعة المستهدفة، وعدَّ الشعوب المحتلة ضحايا للإبادة الجماعية، ولكن ليس فقط عندما يُدمرون بالكامل -اليهود- أو جزئيًّا -البولنديون والصقلبيون الآخرون- ولكن أيضًا عندما يتم (ألمنتهم) -الإسكندنافيون والهولنديون...، إلخ، وجادل لِمكن بأنَّ «الإبادة الجماعية لا تنحصر في إبادة الشعب اليهودي أو الغجريين، إذ طبّقت في أشكال عدة على يوغوسلافيا، وعلى سكان الإلزاس واللورين غير الألمانيين، وسكان هولندا والنرويج، وقد تنوعت التقنية من أمةٍ إلى أخرى ومن شعبٍ إلى آخر، وكانت الغاية الطويلة الأمد ذاتها في الحالات جميعها»[44].

من غير الواضح ما إذا كان هذا التصريح الأخير يُعدُّ صحيحًا، فلم تخضع الفئة الأخيرة من الشعوب المؤلمنة إلى التدمير الكبير لعلاقاتهم

الاجتماعيـة، ولكـن تعرضت للقمع الثقافـي والمعرفي بصورةٍ رئيسـةٍ، لقد كان لِمكـن محقًّا فـي تأكيد الروابط بين السياسـات النازية تجـاه الفئتين الأوّليتين «لم يكن هدف النازيين إبادة مجموعات من البشـر كاليهود وحسـب، بل تدمير القاطنيـن كلهـم فـي منطقة مـا إضافة إلـى مظاهرهم الثقافية كلهـا؛ من أجل خلق مسـاحة لشـعبهم نفسـه»[45]، ولكنه يبـدو متضاربًا مع تعريفـه العام للإبادة الجماعيّـة، عندمـا يعـد قمـع الثقافـة تدميـرًا للمجموعـة، كان مصطلـح لِمكن متغيـرًا، فقد عـرَّف الإبادة الجماعية بصـورةٍ عامةٍ على أنَّهـا تدمير مجموعة، ولكـن بعد صفحتين أشـار بصـورة واضحة إلى أن عدو الأمـة «مُدمَّر أو محطم أو مضعـف»[46]، فيمـا بعـد، كتـب أنَّ الإبـادة الجماعية هي «العـدو المصمِّم على تدمير، أو شـلِّ مجموعة بشـرية تمامًا»[47]، بينما لا يزال تعبيرا التحطيم والشـلل يشـيران إلـى هجومٍ جـذري على علاقات السـكان الاجتماعية، لذلـك لا بد من الإشارة إلى التضعيف؛ بمعنى أنَّ لِمكن في بعض الأحيان وسَّع الإبادة الجماعية أكثر لتشـمل السياسـات التي لم تهددها بصورةٍ خطيرةٍ، هنا تقبع المشـكلة في أن قمـع النخبـة القومية، أو الثقافة العالية لا تتطلب بالضرورة تدمير العلاقات الاجتماعيـة للسـكان بأكملهـم أو ثقافتهـم، فقـد أبقـى النـازيون وجود الشـعوب المؤلمنين الاجتماعي كما هو عليه بصورةٍ كبيرةٍ -كان للدنمارك حكومة لمعظم مـدة الحـرب- ولم يخضعوهم للعنف الجائر، حتّى ولو قمعوا بعض المؤسسـات القومية وقتلوا الخصوم السياسيين والمقاومين واليهود.

لمَاذا لم يميز لِمكن بما يفي بالغرض بين تلك الحالات العادية والحالات الأكثـر دمارًا؟ إحدى الشـروحات تُمثـل أمرًا منهجيًّا، «ما هـو اللافت في تأويل لِمكـن للإبـادة الجماعيـة النازية؟». يقترح دان سـتون «...، حقيقـة أن القانون

يقبع في مركزها»[48]، لقد كرَّس نفسه لتحليل مفصل عن التشريع النازي، إلا أنه لم يفحص الحياة الاجتماعية المتناقضة للسكان المختلفين تحت الإطارات القانونية المتشابهة نسبيًّا، والتي شيَّدها النازيون.

بصورة مفصلة، هي ببساطة الأهمية التي أولاها للبعد الرمزي للثقافة القومية، وكيف أُنشئت، ويبدو ذلك جليًّا أيضًا في مشروع لِمكن التاريخي الأكبر، كانت منهجيَّته أوسع، ولكنه قاد التركيز على الثقافة القومية والأعراف أيضًا إلى إهمالٍ للهيكل الأعمق للحياة الاجتماعية والثقافة، حيث لاحظ كلٌّ من مكدونيل وموزس أنه في كتيبه عن الأمريكيين «عد لِمكن انقراض الثقافة إبادةً جماعيةً، إنها... تتطلب التخلص من الطبقات الحاملة للثقافة»[49]، وعلى وجه الخصوص حدَّد لِمكن «ستة أشكالٍ من الإبادة الجماعية الثقافية: تدمير القيادة والتحويل الديني القسري، ومنع الأنشطة الثقافية، والقضاء على الرموز الدينية والثقافية، وهدم المراكز الثقافية والنهب، والفتك بالنخبة المحلية والقادة أمثال مونتيزوما، مخططًا لشلِّ العدو من أجل جعل هزيمته بصورة أكثر سهولة»[50]، ومن المؤكد أن تدمير النخبة عن طريق العنف المباشر قد يُعد إبادةً جماعيةً ضد تلك النخبة في ضوء فهمٍ أقل شمولية، لذلك يمكن عدُّ تحويل المراكز الثقافية ومنعها وتدميرها إبادةً جماعيةً عندما ترتبط بهذا الهجوم، ولكن مثل تلك العناصر الثقافية لا تُرى بسهولةٍ بوصفها إبادة جماعية، ولا إبادة جماعية ناجحة على وجه الخصوص ضد السكان بأكملهم، يقول كل من مكدونيل وموزس:

> «بدأ الباحثون... يرون الدرجة التي تأقلم فيها الهنود بصورة خلاقة مع قدوم الوافدين الجدد على الشواطئ، ملاحظين الاستمرارية والبقاء

الملاحظين في إستراتيجيات التأقلم بين المجتمعات فيما قبل عام 1492م وما بعده، ومنذ ذلك الوقت حتّى المواجهة الطويلة مع الأوروبيين، أعمى تركيز لِمكن العازم على ثقافة النخب، أو الثقافة العالية عن استمرارية الثقافات الشعبية التي استمرت عندما تغيروا»[51].

لذلك، القمع الثقافي (حظر الاستخدام العام للغة أو التعبير الديني إضافة إلى المؤسسات الثقافية والنخبة) لا يعادل محاولة منهجية لتدمير العلاقات الاجتماعية الموجودة بين الجماهير، فقد يُبقي التجمع السكاني على لغته ودينه وتقاليده بطرقٍ خاصةٍ أو خفيةٍ، ما لم تتم إبادتها بالقوة، أو تخضع للعنف التدميري، ويمكن لعلاقاته الاجتماعية أن تبقى دون مساسٍ جوهري بها.

يعدُّ ذلك التمييز مهمًا؛ فمن دونه يتحول القمع الثقافي إبادةً جماعيةً، وسيطبق المفهوم على الحالات التي لا يوجد فيها تدمير عميق للعلاقات الجماعيّة، أصبحت معظم دول الأمم الحديثة موجودةً عن طريق تقويض طرق الحياة التقليدية بصورة قسرية، إذ يشير يوجين ويبر في تحليله الكلاسيكي لفرنسا إلى أن «الأمة السياسية للنظام القديم عملت جنبًا إلى جنب مع المجتمع التقليدي والبنى الاجتماعية، وكان على الأمة الأيديولوجية للثورة أن تتنافس مع كل هذه. هذه الأمة لم تكتشف عند تحطيم تلك البنى، لكن اكتشافها انطوى على تحطيمها. علاوةً على ذلك، وفي هذه العملية استخدم العنف في البداية وفي الأنحاء كلها»[52]، لكن في معظم الحالات كان العنف حكوميًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا وأيديولوجيًّا؛ فعلى سبيل المثال كان الطلبة الفلاحون يُضربون في المدرسة إذا تكلموا لغتهم المحلية عوضًا عن الفرنسية، وخلال القرن التاسع عشر تقمصت الدول الطرق القديمة، وضمت الناس والمجتمعات في الأمة؛ بهدف التجميع،

ولم يكن هجومًا متزامنًا يهدف إلى الدمار الاجتماعي، لقد كان استعمارًا ثقافيًّا، ولم يكن إبادةً جماعيةً بحق الفلاحين.

يقترح ليفين: «الأصول والزخم المستمر تجاه احتمال الإبادة الجماعية في العالم المعاصر كان جوهريًّا مرتبطًا بصراع الشعوب تجاه أحد أشكال التمسك المرتبط بالأرض»[53]، ويبقى هناك فرق شاسع بين التجنيس الحديث العام للمجتمعات القومية، والشكل المتطرف الذي تأخذ هذه العملية شكله في الإبادة الجماعية، فكان القمع المضاد للثورة عام 1793م «نموذجًا بدائيًّا عن الإبادة الجماعية باقتراح ليفين»[54]؛ لأنه كان استثناءً لتجنيس طبيعي أكثر، كما تصوغها هيلين فين: «ليست الإبادة الجماعية أمرًا سخيفًا، أي يطرأ كل يوم»[55]، تنطوي فكرة تدمير المجموعة على نوع من نكبة اجتماعية كبيرة يسميها العنف الجائر.

الاستعمار والترحيل القسري

إن الغموض في رأي لِمكن عن الإبادة الجماعية النازية موجود حتى في المقطع المشهور من **حكم دول المحور** حول مرحلتي الإبادة الجماعية (راجع الإطار 2.3)، التي يقول موزس إنها: «تلمِّح إلى أنَّ الإبادة الجماعية استعمارية جوهريًّا؛ ولذلك فإن الاستعمار المستوطن يعدُّ إبادةً جماعيةً جوهريًّا»[56]، يصرِّح لِمكن أنّ الفتك بالنمط القومي للجماعة المقموعة قد يكون إما «على السكان المقموعين الذين سُمِح لهم بالبقاء، أو على الأرض وحدها، بعد طرد التجمع السكاني، واستعمار المواطنين الطغاة نفسهم لها»[57]، ولكن لا يحتاج فرض ثقافة الطغاة، وأعرافهم على السكان أن ينطوي على العنف المنتشر، ولا

يبلغ بحد ذاته الدمار الاجتماعي من حيث تعريف لِمكن العام للإبادة الجماعية، بل يتضمن الطرد القسري لتجمع سكاني، واستبدالهم بالمستعمرين تدمير وجود التجمع السكني الاجتماعي في أرضه المحددة، وسيكون المقطع الذي يتحدث عن المرحلتين أكثر انسجامًا مع تعريف لِمكن العام، إذ صرَّح أنّ الاستعمار ليس إبادةً جماعيةً دائمًا، ولكنه يعدُّ كذلك عندما يُشرد تجمعٌ سكني.

من المثير للاهتمام أن هذه الفقرة تشير إلى الطرد القسري؛ لأن لمكن أخفق في ضمه بوصفه واحدًا من الأساليب الثمانية للإبادة الجماعية عند الألمان،

الإطار 2.3 لِمكن: مرحلتا الإبادة الجماعية

للإبادة الجماعية مرحلتان؛ الأولى: تدمير النمط القومي للجماعة المضطهدة. والثانية: فرض نمط الطغاة القومي. قد يكون هذا مفروضًا على التجمع السكني المضطهد الذي سمح له بالبقاء، أو مفروضًا على الأرض وحدها بعد طرد التجمع السكني، واستحلال المستعمرين الطغاة أنفسهم لها.

حكم دول المحور في أوروبا المحتلة: 11.

ومع ذلك، توجد الكثير من الدلائل على أنه عدَّ السياسات التي تنطوي على الطرد القسري أجزاء مهمة من العملية، يقول هتلر:

> «نحن مجبرون على إخلاء السكان بوصفه جزءًا من مهمتنا للحفاظ على السكان الألمان، يتحتَّم علينا أن نطوِّر تقنيةً لإخلاء السكان، وإذا ما سألتني ماذا أعني بالإخلاء السكاني، فإنني أعني طرد الوحدات العِرْقية بأكملها...، وبالطرد لا أعني التدمير بالضرورة؛ سآخذ ببساطة إجراءات منهجية لكبح خصوبتهم الطبيعية العظيمة...، ثمة طرق عديدة، منهجية وغير مؤلمة نسبيًّا، ومن دون سفك الدم على أي حال، وتسبب انقراض الشعوب غير المرغوبة»[58].

بالتأكيد، عندما يتحدث هتلر هنا من دون سفك الدماء فإنه يعني انقراض الشعوب غير المرغوبة، يبدو أنه يشير إلى التحكم في التكاثر البيولوجي عوضًا عن الطرد القسري، غير أنَّ مرحلة ما قبل الانقراض للإبادة الجماعية النازية رأت أيضًا ترحيلًا واسعًا. لاحظ لِمكن أن ألمنة بولندا الغربية الملحقة فُرِضت بوساطة «الطرد الجماعي للسكان الأصليين من قِبل الشرطة...، عن طريق زيادة المساعدة لاستعمار المحتلين الألمان الآتين إلى مناطق جديدة في البلدان المحتلة، وعن طريق تصفية مالكي شركات العمل ووضع الألمان مكانهم»[59]، علاوةً على ذلك، جادل:

«إذا استخدم الشخص تعبير ألمنة البولنديين...، فيعني ذلك أنَّ البولنديين بوصفهم مخلوقاتٍ بشريةً لم يُقتلوا، والنمط القومي الوحيد للألمان فُرِض عليهم، إنَّ مثل ذلك التعبير محدود جدًّا ليطبق على عملية يتم فيها مهاجمة تجمع سكاني بالمعنى المادي، ويُستبدلَ بأمم الطغاة»[60].

لذلك، من الواضح أن لِمكن «رأى عملية الطرد العنيف كإبادةٍ جماعيةٍ، وبصورةٍ مشابهةٍ أشار إلى طرد السلوفانيين ليفسحوا الطريق أمام المحتلين الألمان»[61]، وترحيل أفراد السكان المحتلين «للعمل الإجباري في ألمانيا»[62]، وفيما بعد، ضرب مثال طرد البرابرة والغجر (أي المسلمين الذين أجبروا على التحول إلى المسيحية) من إسبانيا كحالات عن الإبادة الجماعية، مثبتين بذلك أنَّه «نظر إلى الطرد القسري على أنَّه يقع في نطاق تلك الظاهرة»[63].

أشار لِمكن إلى أهمية الأرض للتجمعات السكنية، والطرد القسري لعملية الإبادة الجماعية، إلا أن وضعه لكلا المفهومين كان ناقصًا، يعلِّق بوتشر أن لغته في المقطع الذي يتحدث عن المرحلتين تُوحي بأن نمط الشعب القومي مترابط

مـع المســاحة الفيزيائية التي يعيش فيها ذلك الشـعب، وذلك هو السـبب وراء احتياج الأمة الطاغية إلى فرض نمطها الخاص على الأرض، ويضيف:

«يُظهـر تأكيـد لِمكن علـى الأرض المهزومة أهميـة المسـاحة الفيزيائية في مفهومـه عن الإبادة الجماعية...، ويبدو أنه يقترح أن للشـعب علاقة وجودية مـع مسـاحةٍ فيزيائيـةٍ معينةٍ، مـا يوحي بأن المسـاحة الفيزيائية للشـعب هي عنصـر أساسـي مـن وجـوده الثقافي، والتـي تسـعى عملية الإبـادة الجماعية إلـى تدميرهـا. يصـف لِمكن هكـذا علاقة وثيقة بصـورةٍ ملحوظـةٍ بين الأمة والمسـاحة التـي تقطنهـا، وفـي تصـوره أنّ ثقافـة الأمـة وبيئتهـا الفيزيائيـة مرتبطتان»[64].

ولكـن هـذه الطريقـة للربط بيـن الأمة والأرض بسـيطةٌ للغايـة، فقد دَمَجَ لِمكـن التعلـق بالأرض مع الأنماط القومية، ولكن خلال العشـرة آلاف سـنة من المجتمع المرتبط بالأرض؛ لم تتحد العديد من التجمعات السكنية مع مثل تلك الأنمـاط، فقـد كان التعلق غالبًا عائليًّا وعامًّا من النـاحيـة المحلية؛ أي للمنازل والأرض وسـبل العيش والمجتمـع، وليـس للأرض القوميـة، وكان القاطنـون المدنيـون متعلقيـن بمدنهـم وأحيائهم بقدر المسـاحات القوميـة المتخيلة. قد يكـون لِمكـن محقًّا في تصديـق أن مرتكبي الإبـادة الجماعية أبـادوا التجمعات السكنية بسبب هوياتها الجماعية المحسوسة؛ ولكن بالنسبة إلى الهجوم عليهم كان التعلق المحلي سـبب جعل الإبادة خطرًا وجوديًّا. يعدّ ذلك السـبب الرئيـس وراء المقاومة التي حرض الطرد القسري والعنف الضروري دائمًا لتحقيقها.

تعدُّ تعليقات لِمكن عن الطرد القسري في كتاب **حكم دول المحور** وغيره إيحائيةً، ولكنه لم يدمجها -إنها إحدى الوسائل، إن لم تكن الأكثر شيوعًا، التي

دمر من خلالها سكان المجموعات- في إطاره التحليلي، علاوةً على ذلك، فشل في الاعتراض على تجنب المسألة في مشروع قرار اتفاقية الإبادة الجماعية، أو أن يتحدث عن أهمية الإبادة الجماعية للطرد القسري الكبير، الذي دمر السكان خلال مدة مشروع الاتفاقية (راجع الفصل 3). لتلك الأسباب كلها، يعدُّ ميراثه عن هذه المسألة مختلطًا في أفضل الحالات، ومن غير المفاجئ ربما أنَّ معظم المعلِّقين تجاهلوا هذه المسالة في عمله، ولكنه موضوع مهم، وخصوصًا في ضوء الحوارات الجديدة حول التطهير العرقي. (راجع الفصل 5).

قوانين الأقليات والحرب

لطالما كان لتصور لِمكن لمفهوم الإبادة الجماعية طابع قانوني، إضافة إلى الطابع الاجتماعي-التاريخي، كان متأثرًا جدًّا بجانبين رئيسين للتقليد القانوني العالمي، وقوانين الأقليات والحرب، فوجود الأقليات ذوي المعتقدات المختلفة عن الحاكم، يُشكل مشكلةً في السياسات بين الدول -على الأقل منذ صراعات العصور الوسطى بين المسلمين والمسيحيين- ومشكلة أساسية في النظام الأوروبي منذ الانفصال في المسيحية في القرن السادس عشر. سعت العديد من المعاهدات من أودسبيرغ عام 1555م وصولًا إلى ويستافيليا 1648م، إلى تنظيم هذه العلاقة من خلال الحكم cuius region, eius religio، ووفقًا لها فإنّ دين الدولة يتبع دين قائدها «الناس على دين ملوكهم»[65]، تضمنت تلك المعاهدات أيضًا حقوق الأفراد في ممارسة دينهم، وحصولهم على حماية حاكمٍ من ذات دينهم، لتبدأ بذلك عملية تعريف حقوق الأقليات، ومنذ القرن التاسع عشر، عندما عُرِّفت الدول بازدياد بوصفها أممًا عوضًا عن الأديان

تم تصور هذه الحقوق وفق شروط قومية وليست دينية إضافة إلى الدينية، لتصل هذه الميول ذروتها بعد الحرب العالمية الأولى، كما يصوغها لِمكن «كانت المجموعات القومية والدينية موضوعةً تحت حماية خاصة وفق اتفاقية فيرساي، ومعاهدات الأقليات المحددة؛ عندما أصبح من الواضح أنَّ الأقليات القومية كانت مجبرةً على العيش ضمن حدود الدول التي تحكمها الحكومات التي تمثل أغلبية السكان»[66].

«مع أنَّ الحرب العالمية الأولى شهدت دمار المجتمعات القومية -الأرمن أكثرها شهرة- فإنها عَدَّت مشكلات الأقليات تحت إرشادات الاضطهاد والحقوق»[67]، إذ كان من نتائج الحرب العالمية الثانية «تحول التوازن لصالح حقوق الإنسان الفردية عوضًا عن حقوق المجموعة»[68]، يُشير مارك مازور Mark Mazower إلى أنه بينما كانت اتفاقية الإبادة الجماعية تصاغ؛ فإن بنود حقوق الأقليات لمعاهدات ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية «دفنت بهدوءٍ وخفاءٍ»[69]، فقد «مثَّل رفض طلب لِمكن لبند الإبادة الجماعية، وحماية اللغة والأدوات الثقافية، والمؤسسات الاعتراض لاستمرار هذا النظام من خلال الاتفاقية»[70]، مع أن مبدأ حقوق الإنسان وقانونه يعدان الآن -على الأغلب- حاميين من الإبادة الجماعية. خشي لِمكن أن تأكيد حقوق الأفراد -على سبيل المثال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان- سيعمل ضد حماية المجموعة، فجادل دونا لي فريز Donna- Lee Frieze «خوف لِمكن من القوة المنسوبة إلى حماية الحقوق الفردية كان مبررًا؛ لأنَّ التركيز على الحقوق الفردية...، سمح للقوى المتحالفة لتظهر وكأنها حامية حقوق إنسان أخلاقية عظيمة، بينما في الحقيقة أن حماية حقوق الأفراد تحمي أيضًا سيادة الدولة»[71].

عوضًا عن ذلك كانت جهود لِمكن للحصول على الاعتراف القانوني بالإبادة الجماعية ناجحةً بصورةٍ رئيسةٍ؛ لأنها وصلت بين حماية الأقليات وتقليد آخر هو قانون الحرب الذي بقيت غايته تعريف جريمة عامة هي تدمير المجموعات القومية، ولكنه هيكل قضيته من نواحي النقص الموجود في قوانين الحرب حيث جادل بأن:

تقنيات النازيين تمثل النظام الأكثر علمية وتطورًا، وهو الذي طوِّر لدرجةٍ لم تحققها أي أمة من ذي قبل؛ لذلك ثمة حاجةٌ إلى فحص القانون الدولي...، لقد فاقت تلك الممارسات في سمتها المجرَّدة من المبادئ الخلقيّة أي إجراءاتٍ أو طرقٍ تخيَّلها مُعدو لائحة لاهاي منذ عقود عدة مضت «الإطار القانوني للحرب 1907م»[72].

لذلك «يجب أن نتأكد من أن... القوانين محسنة للغاية لتمنع بوضوح الإبادة الجماعية في أي حرب قد تحدث في المستقبل»[73]، كانت قضية لِمكن أن قوانين الحرب تحتاج إلى أن تعالج مسألة تدمير المجموعات بوصفها صنفًا عامًا من الجريمة الدولية:

«إنَّ الإبادة الجماعية مؤلفة من أفعال مختلفة من الاضطهاد والتدمير، فالعديد من تلك الأفعال ممنوعة بنص العديد من المواد في لائحة لاهاي، ولكن أفعالًا أخرى تقع في نطاق الإبادة الجماعية، ليست ممنوعة في لائحة لاهاي، تحتاج مشكلة الإبادة الجماعية بأكملها إلى التعامل معها ككل»[74].

كانت تلك فكرة لاحقة تقريبًا ساعدته على توسيع قضيته لتجاوز سياق الحرب:

علاوةً على ذلك، «علينا ألا نتغاضى عن حقيقة أنَّ الإبادة الجماعية ليست مشكلة حرب فقط، بل مشكلة سلام أيضًا، يتعيَّن على معاهدة عالمية متعددة

الأطراف أن تمهد الطريق لمقدمة ليس فقط في الدستور، ولكن في النظام الإجرامي لكل بلد أيضًا، في قوانين تحمي مجموعات الأقليات من الاضطهاد بسبب قوميتهم أو دينهم أو عِرْقهم»[75].

ومع ذلك، قال أيضًا قوله الشهير: «الإبادة الجماعية ليست حربًا! إنَّها أكثر خطورة من الحرب!»[76].

التوتر الذي واجه به لِمكن مشكلة الإبادة الجماعية لم يكن الصراع المعتاد، أو مجرد انغماسٍ في الحرب، بل مشروعًا إجراميًّا، ورغم ذلك حدث في سياقات الحرب أن تطورت الإبادة الجماعية سواء في القضية النازية أو في غيرها مثل القضية الأرمنية في سياق الحرب العام على أنّها امتدادٌ غير شرعي له؛ ولذلك حدَّد لِمكن الإبادة الجماعية فيما يتعلق بالصراع الشرعي، فيظهر تصريحه المؤثر (راجع الإطار 2.4) أن تعريف ظاهرة الإبادة الجماعية بالنسبة إليه اعتمد على التمييز الحديث بين الحروب الحضارية والحروبغير الحضارية، من خلال التفريق بين السيادات والجيوش عن الرعية والمواطنين؛ بحيث يمكن الحدُّ من الإبادة الجماعية. كانت أهداف الإبادة الجماعية المدنيين، وهي نقطة تم تجاهلها في معظم التعليقات اللاحقة، ولكن أُعيد لها دورها المركزي في هذا الكتاب، مع أنَّ الإبادة الجماعية كانت جريمة فريدة من الممكن أن تحدث -على الأقل- استثنائيًّا في وقت السلم خارج الصراع الأكثر ملاءمة، وتمثل شكلًا حديثًا من حروب الإبادة التاريخية كما يجادل ليفين: «الذروة الكاملة من مفهوم لِمكن تقترح ظاهرةً لا تحدث ببساطة في سياق الحرب، ولكنها بذاتها شكلٌ من أشكال الصراع»[77].

obeikan.com

الإطار 2.4 لِمكن: الإبادة الجماعية والحرب

إن الإبادة الجماعية هي نقيض عقيدة روسو-بورتالي Rousseau–Portalis، والتي يمكن عدُّها ضمنيةً في قرارات لاهاي، فهي تعد الحرب موجهة ضد السيادات والجيوش وليس ضد الرعية والمواطنين. في تطبيقها المعاصر في المجتمع المدني تعني العقيدة أنَّ الحرب تشن ضد الدول والقوى المسلحة لا ضد السكان. لقد تطلبت مدة طويلة من التطور لتحدد الطريق من حروب الإبادة، والتي ظهرت في الأوقات القديمة وفي العصور الوسطى، إلى مفهوم الحرب ككونه محدودًا جوهريًّا للأنشطة ضد الجيوش والدول.

حكم دول المحور في أوروبا المحتلة: 80.

ملاحظة: سميت عقيدة روسو-بورتالي تيمنًا ببيان الفقيه جون إتيان ماري بورتاليJean–Etienne–Marie Portalis في أوائل القرن التاسع عشر عن أفكار الفيلسوف جون جاك روسو Jean–Jacques Rousseauفي القرن الثامن عشر.

نبعت توصيفات لِمكن في كتاب **حكم دول المحور** من هذا التعريف للمشكلة، وكانت مهتمةً بصورةٍ رئيسةٍ بقوانين الحرب، كانت نقطة بدايته النقص في قرارات 1907م التي تتعلق بالاحتلال العسكري، وطالب بأن تتضمن المراجعات الإبادة الجماعية، وطالب أيضًا «بوكالة متحكمة دولية لها قوى خاصة مثل زيارة البلاد المحتلة، والاستفسار عن الطريقة التي يُعامل فيها المحتلُ السكانَ الأصليين في السجن»[78]، وكما يجادل شاباس «أشار أيضًا إلى النقص الكبير في قرارات لاهاي، فهي تنطبق وبشكل محدود على ظروف الصراع المسلح الدولي»[79]، كان مهتمًّا أولًا بتحسينهم للتأكد من أن الإبادة الجماعية لا تحدث في أوقات الحرب، ومن المؤكد أن توسع جدول أعمال لِمكن عندما أصبح من الواضح أنه ثمة احتمالٌ لتبني الأمم المتحدة لاتفاقية محددة

obeikan.com

تحظر الإبادة الجماعية، كان في هذا السياق أيضًا أن توقفت فكرة الإبادة الجماعية عن الانتماء لرجلٍ واحدٍ، ودخلت بسرعةٍ في أشكال الخطابات السياسية والقانونية الدولية.

الخلاصة

لقد جادلت في هذا الفصل أن لِمكن أعطانا الإبادة الجماعية بوصفها مفهومًا عامًا للتدمير الاجتماعي المستهدف للمجموعات السكانية، حتى ولو كان العديد من الطرق التي طوَّر فيها المفهوم ودعمه مُشكِلَة، وسنرى في الفصول التالية أنَّه بينما تناولت الاتفاقية وكتّابٌ لاحقون بعضًا من المشكلات التي تركها لِمكن، إلا أنها كانت في الغالب على حساب خسارة فهمه الأساسي، وغايتي أنْ أعيد ذلك وأمنحه أساسًا اجتماعيًّا كافيًا.

في الفصل القادم سأناقش كيف تطورت الفكرة، أولًا في تبني الاتفاقية، ولاحقًا في السياق الأكاديمي الذي استجاب للاتفاقية أكثر من استجابته لعمل لِمكن بذاته.

obeikan.com